التوت ودود الحرير

لحضرة الوجيه عطار افندي ثابت

من المعلوم ان ثروة القطر المصري قائمة بالزراعة دون غيرها ولذلك اتجهت انظار الحكومة منذ عهد ساكن الجنان محمد علي باشا إلى ترقية شأن الزراعة وتقدمها واصلاح طرق الري وتعميمها

ومن المقرر ان زراعة القطن هي اهم انواع الزراعة الموجودة الآن في هذا القطر السعيد بل هي قوام حياته فلو اصابها آفة تعطل نجاحها او عارض يقال ثمرتها لكان للاهالي شأن يضطرب له وجود البلاد جملة . ولقد ادركت الحكومة المصرية في السنوات الاخيرة الخطر الناتج عن اعتماد الاهالي في زراعتهم على صنف واحد وذلك لما بلغتها شكوى الفلاح من هبوط اسعار القطن فاهتمت بتعديل الضرائب وفكرت في تخفيفها ثم ارادت ان تعالج اصل الداء فاستقدمت لهذه المهمة رجلاً من الاقتصاديين المشهورين وهو المستر فولر مؤملة كل الخير من ابحاثه وآرائه

ولقد كنت متتبعاً سير هذه الحوادث باهتمام شديد بالنظر إلى انقطاعي للاعمال الزراعية والاشتغالي خصوصاً بامر ادخال زراعة شجر التوت لتربية دود الحرير في القطر المصري . ثم اتفق انني وقفت على كلام نقلته بعض الجرائد عن لسان المستر فولر فانست منه ميل هذا الاقتصادي الى ادخال اصناف جديدة من اصناف الزراعة المفيدة الى هذا القطر فكان ذلك مشدداً لعزمي ومثبتاً لرأيي وعليه اقول

ان ادخال اصناف جديدة من اصناف الزراعة التي تعادل زراعة القطن في ارباحها او تزيد عليها هو احسن وسيلة واقوم طريقة لزيادة الثروة العمومية ولرجوع اسعار القطن نفسه الى ما كانت عليه قبل سني الهبوط الاخيرة وذلك لانه من المعلوم ان سبب انحطاط اسعار القطن في هذه السنوات انما هو زيادة محصوله عن القدر الذي تحتاج اليه الصناعة فالوسيلة الطبيعية لرجوع الاسعار الى مركزها الاصلي انما هي تضييق نطاق هذه الزراعة والوصول الى هذه الغاية لا يتأتى بوسائل الحظر والاكراه وانما يكون بايجاد زراعة جديدة ملائمة لتربة القطر وهوائه تأتي بارباح تعادل ارباح زراعة القطن وتزيد عليها لان الاهالي متى عرفوا تلك الزراعة مالوا اليها من تلقاء انفسهم طلباً للربح فتقل مساحة زراعة القطن بقدر انتشار الزراعة الجديدة ويتم الغرض المقصود بدون استعمال وسائل اكراهية يستحيل تنفيذها و بدون حصول

عجز في ايراد الاطيان التي تبطل منها زراعة القطن

وزراعة التوت لتربية دود الحرير من اعظم انواع الزراعة ربحاً لان الفدان من الارض الذي يشتمل عادة على نيف وثلاثمائة شجرة توت يربي في السنة الثامنة سبعين درهماً على الاقل من بزر دود الحرير وينتج من الدرهم عادةً اربع اقات شرانق فاكثر فيكون مجموع دخل الفدان مائتين وثمانين اقة من الشرانق تباع الاقة بثمن ادنى درجات الهبوط باثني عشر قرشاً صاغاً فيكون ايراد الفدان ثلاثة الاف وثلاثمائة وستين قرشاً يطرح منها خمسة وعشرون في المائة مقابل النفقات فيكون متوسط دخل فدان التوت في كل سنة الفين وخمسمائة قرش او اكثر بعد المصاريف وربما زاد عن ذلك كثيراً في بلاد ينمو فيها الشجر نموهُ في القطر المصري على شرط حسن الخدمة في تربية دود الحرير

اما موافقة هذا القطر لدود الحرير فمحققة لانهُ قد تبين بالاختبار ان دود الحرير ينجح في كل بلاد ينجح فيها شجر التوت الذي اعدتهُ الطبيعة لهُ طعاماً وقد نجح دود الحرير نجاحاً عظيماً في ولاية مدراس جنوبي الهند الانكليزية حتى الدوجة العاشرة من العرض الشمالي وينجح في البلاد الباردة حتى الدرجة التاسعة والخمسين كمدينة ستوكهولم وغيرها . وقد اختبرت بنفسي تربية الدود في الوجه البحري خاصة فنجح فيهِ نجاحاً يفوق نجاحهُ في بر الشام حيث الحرير اهم موارد الثروة العمومية . وقد ادخل ساكن الجنان محمد علي باشا زراعة شجر التوت وتربية دود الحرير الى الديار المصرية في آخر مدة حياتهِ فنجحت نجاحاً عظيماً في الجهات التي ادخلها اليها وما جاورها كجهات القرين ومنية سراج والزوامل ولكنها لم تنتشر في البلاد لعلة اصابتها في اول نشأتها وهي مرض اصاب دود الحرير في اوربا وانتشر في العالم فاتصل بسورية ثم بمصر فعطل النجاح وافسد تقاوي الدود فاهمل المصريون زراعتهُ غير آسفين عليهِ نظراً لحداثة عهدهم عندهم وظنوا ان سبب الضرر هو عدم موافقة هواء هذه البلاد لهُ ولا يزال جمهورهم على هذا الظن حتى الآن . اما البلاد الاخرى التي عرفت فضل هذه الزراعة على غيرها من عهد قديم كايطاليا وفرنسا وسورية فلم تيأس من العود الى النجاح بل وجهت عنايتها للبحث في الآفة التي طرأت على الدود وسعت للتخلص منها بجهدها وساعدتها حكوماتها على ذلك فبلغت مقاصدها على يد الاستاذ باستور الذي وجد الطريقة المأمونة للحصول على بزر خالٍ من المرض فعاد دود الحرير في تلك البلدان الى سابق عهدهِ من النجاح او اكثر وعادت اليها السعة بعد الضيق واما المصريون فلم يتتبعوا سير تلك الاكتشافات لانهم كانوا مكتفين بزراعة القطن غير متطلعين الى سواها

ثم ان لهذه الزراعة مزايا اخرى خلاف قيمة محصولها من الحرير نأتي على ذكرها بالايجاز وهي اولاً انهُ يمكن زرع الاطيان مزروعات اخرى صيفيةً مع وجود شجر التوت فيها حتى يكبر الشجر وتظلل اغصانهُ الارض ويصير الاعتماد عليهِ عوضاً عن جميع المزروعات . ثانياً ان شجر التوت بعد ان يطعم ورقهُ لدود الحرير في مدة تربية الدود اي في فصل الربيع يعود فيورق مرة اخرى وهذا الورق يطعم في الخريف علفاً للمواشي فيكون منهُ فائدة تعادل فائدة البرسيم وكذلك فضلات الورق الذي يطعم للدود تجمع وتحفظ جافة وتضاف إلى التبن علفاً للبقر فتقوم مقام الفول تقريباً . ثالثاً ان اغصان شجر التوت التي يقلم اكثرها كل سنة تباع حطباً ونفس الشجر يصلح لخشب السنط لآلات الزراعة ولعمل السواقي وخلافها مما يحتاج الى خشب صلب كثير المقاومة للعمل المياه والمؤثرات الجوية . رابعاً ان احتياج شجر التوت الى الماء اقل من احتياج القطن اليهِ وخصوصاً بعد غرسهِ بثلاث سنوات فانهُ لا يحتاج حينئذٍ الاَّ الى ماء قليل خصوصاً في القطر المصري حيث الرطوبة موجودة دائماً على عمق معلوم من الارض لان جذور هذا الشجر تمتد في عمق الارض التماساً للرطوبة اللازمة لها فاذا امتنعت مياهُ الري عن الشجر سنة بطولها او دائماً فلا يضيع محصولهُ بل غاية ما في الامر انهُ ينقص عن اصلهِ . خامساً ان عملية حل فيالج الحرير تشغل عدداً كبيراً من الاهالي مدة طويلة من السنة فيتيسر بذلك وجود العمل للعمال في ازمنة فراغهم من الاعمال الزراعية هذا فضلاً عن الذين يشتغلون بتربية دود الحرير وخدمة الشجر وعددهم عادة اربعة لكل فدان . سادساً ان شجر التوت ينجح ايضاً في الارض الرملية التي يخالطها شيء من التراب مما يباع عادة باسعار واطئة . على ان نجاح هذه الزراعة لا يكون الاَّ بعد نفقات كثيرة في السنين الاولى الى ان تنمو الاشجار وتأتي بمقدار معلوم من الورق وهذه النفقات مع عدم خبرة الاهالي في تربية الدود واستغلالهِ هي التي تمنع الناس من مباشرة هذه الزراعة

ومن المعلوم ان تربية دود الحرير لم تدخل بلاداً من البلدان الاوربية الاَّ بعد ان بذلت حكومتها اموالاً طائلة في سبيل مساعدة الاهالي على تحمل نفقاتها الاولية فان كارلوس الثامن ملك فرنسا الذي دخلت زراعة التوت ارض فرنسا في ايامهِ في اوائل القرن الخامس عشر انشأ مشاتل للتوت على نفقات الحكومة وكان يوزع شجرها على الاهالي مجاناً ويكافىء المزارعين على اهتمامهم بهذه الزراعة وبتربية دود الحرير بكل انواع المكافآت . وهنريكس الرابع اصدر ارادة سنية يعد فيها بان يرفع إلى مقام الاشراف كل شخص انشأ معملاً للحرير

في باريس ظل قائماً مدة اثني عشرة سنة . وفي زمن لويس الرابع عشر اهتم وزيره كولبير اهتماماً عظيماً بهذه الزراعة وتوسيع نطاقها فكان يوزع الاشجار مجاناً ثم يقوم بنفقات غرسها وخدمتها ولكن هذا التوسع في الجرد جاء بخلاف النتيجة المطلوبة لان الاهالي لم يكونوا ليشتروا بالثمر الذي لا يتعبون عليه فكانوا يهملونه وربما قطعوه احياناً فلما ادرك كولبير ذلك عدل عن طريقته هذه وجعل للزارعين مكافأة قدرها ثلاثة فرنكات على كل شجرة تبقى قائمة ثلاث سنوات فاقبل الناس على زراعة التوت اقبالاً عجيباً حتى عمت زراعته اكثر الولايات الجنوبية من فرنسا . ثم استدعى كولبير صاحب معمل من ايطاليا يدعى بينيه فانشأ معملاً لنسج الحرير في فرنسا على طرز معامل ايطاليا فنجح ونال من الملك مكافآت مالية عظيمة ورفعه الملك ايضاً الى مقام الاشراف . وفي عهد الملك لويس الخامس عشر انشأت الحكومة الفرنسوية مشتلاً على نفقتها في ولاية البواتو سنة ١٧٤٥ ثم انشأت مشاتل اخرى كثيرة في جهات متعددة فاستمرت على مثل هذه المساعدات في زمن لويس السادس عشر وفي عهد الجمهورية والقنصلية ايضاً حتى بلغت البلاد الفرنسوية شأواً بعيداً في مضمار هذه الزراعة وصار ايرادها منها يقدر بالملايين فكان الحرير اعظم مصادر ثروتها

باب تدبير المنزل

قد نقحنا هذا الباب لكي نشرح فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الوباء والخوف

انقضى العام الماضي ونحن نحث ربات البيوت على النظافة والاعتناء بالماء والطعام لكي يكونا تقيين دفعاً للكوليرا التي يدخل ميكروبها البدن مع الطعام والشراب . وقد زالت الكوليرا من هذا القطر لكن الحث والانذار لم يزالا واجبين الآن كما كانا واجبين حينئذٍ لان النظافة عماد الصحة وافضل واقٍ من الامراض

وزد على ذلك ان في بلاد المشرق الآن وباء آخر لا يقل عن الكوليرا فتكاً وهو